

﴿أَرَعَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾
وَلَا يُخِصُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ
هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: 1-7]

✽ مناسبة السورة لما قبلها:

لما عدَّد المولى تعالى في السورة السابقة نِعَمَهُ العديدة على قُرَيْشٍ الَّتِي منها الإيلافُ والإطعامُ والأمنُ؛ نَاسَبَ أَنْ يَذُمَّ في هذه السورة المَكْذِبِينَ بِالْإِيمَانِ، وَالَّذِينَ لَا يُطْعِمُونَ الْمَسْكِينِ، وَيَدْعُونَ الْيَتِيمَ وَالسَّاهِينَ عَنِ الصَّلَاةِ وَالْمُرَائِينَ فِيهَا^(١)، فهو انتقالٌ من بيان النِّعَمِ الَّتِي أَوْلَاهَا اللهُ تعالى بعبادِهِ، إلى بيان كُفْرَانِ الْعِبَادِ بهذه النِّعَمِ، عَقِيدَةً فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ غَيْرِ الْمُسْتَحْقِينَ لِلْعِبَادَةِ، وَسُلُوكًا فِي تَرْكِ إِعَانَةِ الْمُحْتَاجِينَ وَالْمَسَاكِينِ، وَعَدَمِ اعْتِبَارِهِمْ بِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿يَدْعُ﴾: (دَعَّ) أَصْلٌ وَاحِدٌ مُنْقَاسٌ مُطَرَّدٌ، وَهُوَ يَدْعُ عَلَى حَرَكَةٍ وَدَفْعٍ وَاضْطِرَابٍ⁽²⁾، وَدَعَعْتُهُ أَدْعُهُ دَعًّا: دَفَعْتُهُ، وَدَعَدَعْتُ الشَّيْءَ: مَلَأْتُهُ⁽³⁾، وَدَعَعُهُ دَفَعَهُ فِي جَفْوَةٍ، وَالْمُرَادُ بِهِ فِي الْآيَةِ: الدَّفْعُ الْعَنِيفُ بِشِدَّةٍ وَجَفَاءٍ.

(2) ﴿يُخِصُّ﴾: يَدْعُ الْحِصَّ عَلَى الْبُعْثِ عَلَى الشَّيْءِ، حَصَصْتُهُ عَلَى كَذَا حَرَصْتُهُ⁽⁴⁾، وَحَصَّهُ عَلَى الْأَمْرِ حَصًّا مِنْ بَابِ (قَتَلَ): حَمَلَهُ عَلَيْهِ،

(1) الهرري، حقائق الرُّوح والزَّيْحَان: 361/32، ومجمع البحوث، التفسير الوسيط: 2026/10.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دَعَّ).

(3) الجوهري، الصحاح: (دَعَّ).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حَصَّ).

الانتقال من
سرد النِّعَمِ
العديدة إلى
بيان صَوَرِ
الجحدِ الكثيرة

والتَّحْضِيضُ مِنْهُ لَكِنَّهُ شَدَّدَ مُبَالِغَةً⁽¹⁾، والمرادُ بِهِ فِي الْآيَةِ: عَدَمُ الْحَمَلِ عَلَى إِطْعَامِ الْمِسْكِينِ وَالْحَتِّ وَالتَّحْرِيزِ عَلَيْهِ، وَمِنْ بَابِ الْأَوَّلَى أَنَّهُ لَا يُعَدُّ الطَّعَامَ لَهُ⁽²⁾.

(3) ﴿فَوَيْلٌ﴾: الْوَيْلُ: حُلُولُ الشَّرِّ، وَالْوَيْلَةُ: الْفَضِيحَةُ وَالْبَلِيَّةُ⁽³⁾، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: (وَيْلٌ) قَبْحٌ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ عَلَى التَّحْسُرِ، وَ(وَيْسٌ) اسْتِصْفَارٌ، وَ(وَيْحٌ) تَرْحُّمٌ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ وَيلاً وَادٍ فِي جَهَنَّمَ فَإِنَّهُ لَمْ يَرِدْ أَنَّ (وَيْلاً) فِي اللُّغَةِ هُوَ مَوْضُوعٌ لِهَذَا، وَإِنَّمَا أَرَادَ مَنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ فِيهِ فَقَدْ اسْتَحَقَّ مَقَرًّا مِنَ النَّارِ، وَثَبَتَ ذَلِكَ لَهُ⁽⁴⁾، وَوَيْلٌ: كَلِمَةٌ مِثْلُ وَيْحٍ، إِلَّا أَنَّهَا كَلِمَةٌ عَذَابٍ، وَتَقُولُ: وَيْلٌ لَزِيدٍ، وَوَيْلاً لَزَيْدٍ، فَالنَّصْبُ عَلَى إِضْمَارِ الْفِعْلِ، وَالرَّفْعُ عَلَى الْابْتِدَاءِ، هَذَا إِذَا لَمْ تُضَفْهُ، فَأَمَّا إِذَا أَضِفْتَ فَلَيْسَ إِلَّا النَّصْبُ، لِأَنَّكَ لَوْ رَفَعْتَهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَبَرٌ⁽⁵⁾، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الْكَلِمَةَ تُسْتَعْمَلُ فِي مَقَامِ إِنْشَاءٍ ذَمٍّ شَدِيدٍ وَقَدَحٍ أَكِيدٍ أَوْ دُعَاءٍ عَلَى ضَرَرٍ وَشَرٍّ، وَهَذَا هُوَ الْأَعْلَبُ فِي اسْتِعْمَالِهَا، وَالْمَرَادُ بِهَا فِي الْآيَةِ: الْوَعِيدُ وَالتَّهْدِيدُ الدَّالُّ عَلَى الْبَلِيَّةِ وَالْهَلَاكِ⁽⁶⁾.

(4) ﴿سَاهُونَ﴾: السَّهْوُ: يَدُلُّ عَلَى الْغَفْلَةِ وَالسُّكُونِ، يُقَالُ: سَهَوْتُ فِي الصَّلَاةِ⁽⁷⁾، وَسَهَا عَنْ الشَّيْءِ يَسْهُو سَهْوًا⁽⁸⁾، وَالسَّهْوُ: خَطُؤًا عَنْ غَفْلَةٍ، وَذَلِكَ ضَرْبَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ لَا يَكُونَ مِنَ الْإِنْسَانِ جَوَالِبُهُ وَمَوْلِدَاتُهُ كَمَجْنُونٍ سَبَّ إِنْسَانًا، وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ مِنْهُ مَوْلِدَاتُهُ كَمَنْ شَرِبَ خَمْرًا ثُمَّ ظَهَرَ مِنْهُ مُنْكَرٌ لَا عَنْ قَصْدٍ إِلَى فِعْلِهِ، وَالْأَوَّلُ مَعْفُو عَنْهُ، وَالثَّانِي مَأْخُودٌ بِهِ، وَعَلَى نَحْوِ الثَّانِي ذَمُّ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾⁽⁹⁾، فَهُوَ الْغَفْلَةُ عَنْ عَمَلٍ يَقْصِدُهُ وَيُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ، كُلًّا أَوْ جِزْءًا، فَإِذَا كَانَ السَّهْوُ بِسَبَبِ اخْتِيَارِ مُقَدِّمَاتٍ تَوَجَّهَ بِهِ فَهُوَ مَأْخُودٌ بِهِ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ عَنْ قَصْدٍ وَعَمْدٍ، وَهَذَا لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ السَّهْوُ،

(1) الْفَيَّومِيُّ، الصَّبَاحُ النَّبَرِ: (حَضَّ).

(2) الْمِصْبُوحِيُّ، التَّحْقِيقُ فِي كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ: 226 / 2.

(3) الْخَلِيلُ، الْعَيْنُ: (وَيْل).

(4) الرَّازِبِيُّ، الْفُرْدَاتِ: (وَيْل).

(5) الْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاحُ: (وَيْل).

(6) الْمِصْبُوحِيُّ، التَّحْقِيقُ فِي كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ: 211 / 14.

(7) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللُّغَةِ: (سَهْو).

(8) الْفَيَّومِيُّ، الصَّبَاحُ النَّبَرِ: (سَهْو).

(9) الرَّازِبِيُّ، الْفُرْدَاتِ: (سَهْو).

والمراءد بـ (السَّاهُونَ) في الآية: الغافلون عن الصَّلَاة وإقامتها، نتيجة عدم الاهتمام بها والمراقبة فيها⁽¹⁾.

(5) ﴿يُرَآؤُونَ﴾: (رأى) أصلٌ يدلُّ على نَظَرٍ وإِبْصَارٍ بَعَيْنٍ أَوْ بَصِيرَةٍ؛ فالرَّأْيُ ما يراه الإنسانُ في الأمرِ، وجمعه الآراءُ، والعربُ تقولُ: رَئَيْتُهُ في معنى رَأَيْتُهُ، ورأى فلانٌ يرائي، وفعلَ ذلك رِئَاءَ النَّاسِ، وهو أنْ يفعلَ شيئاً ليراهُ النَّاسُ⁽²⁾، ورأيتُ الشيءَ رُؤْيَةً أَبْصَرْتُهُ بحاسَّةِ البَصَرِ، ومنه الرِّئاءُ وهو إظهارُ العملِ للنَّاسِ ليرَوْهُ وَيَظُنُّوا به خيراً⁽³⁾، ورأَيْتُهُ مُرَآءَةً وَرِئَاءً بالكسرِ أَرَيْتُهُ أَنِّي على خِلافٍ ما أنا عَلَيْهِ؛ والمرادُ به في الآية: يفعلُ المنافقونَ الفعلَ المقصودَ به رُؤْيَةً الخلقِ؛ غَفَلَةً عَنِ الخالقِ وعِمَايَةٍ عَنْهُ⁽⁴⁾.

(6) ﴿الْمَاعُونَ﴾: (معن) أصلٌ يدلُّ على سُهولةٍ في جَرَيانٍ أَوْ جَرِيٍّ أَوْ غيرِ ذلك⁽⁵⁾، وَمَعَنَ الماءُ يَمَعُنُ جَرَى، فهو مَعِينٌ، وَأَمَعَنَ الفرسُ إمعاناً تَبَاعَدَ في عَدْوِهِ، والماعونُ: اسمٌ جامعٌ لأثاثِ البيتِ⁽⁶⁾، والطَّاعةُ، وعن عليٍّ عليه السلام: الماعونُ الزَّكَاةُ، وعن الفراء: الماعونُ هو الماءُ بَعَيْنِهِ، والمَعْنُ والماعونُ: المعروفُ كُلُّهُ لتيسُّرِهِ وسُهولَتِهِ، والماعونُ: أسقاطُ البيتِ كالدُّلُو والقِدَرِ، والماعونُ في الجاهليَّةِ: العطيةُ والمنفعةُ، وفي الإسلامِ: الطَّاعةُ والزَّكَاةُ والصَّدقةُ الواجبةُ، وكلُّهُ من السُّهولةِ والتَّيسُّرِ⁽⁷⁾؛ فالأصلُ الواحدُ في المادَّةِ هو مُلاءمةٌ واعتدالٌ في أمرٍ، وهذا المعنى يَخْتَلِفُ باختلافِ الموضوعاتِ، ففي الإنفاقاتِ ما يكونُ عندَ النَّاسِ مَعْرُوفاً غيرَ مُنَكَّرٍ، وفيه مُلاءمةٌ لا صُعوبةَ فيه⁽⁸⁾، والمرادُ به في الآية: منعُ الطَّعامِ والزَّكَاةِ والمعروفِ التَّيسيرِ السَّهْلِ القليلِ.

❁ المعنى الإجمالي:

تبيين السُّورة الكريمة واقع الذي يكذبُ بالجزاءِ أو بالإسلامِ، من خلال تعداد صفاته

(1) للصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن: 260 / 5.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رأى).

(3) الفيومي، الصباح للنير: (رأى).

(4) الزبيدي، تاج العروس: (رأى).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (معن).

(6) الفيومي، الصباح للنير: (معن).

(7) ابن منظور، لسان العرب: (معن).

(8) للصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن: 128 / 11.

العملية، فذلك الذي يدفع اليتيم ويزجره، ولا يحث نفسه ولا غيره على بذل طعام المسكين الفقير المحتاج الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته، فإذا كان الأمر كذلك وكان دُع اليتيم ودفعه وعدم الحض على طعام المسكين بهذه المثابة، فويل وهلاك وعذاب للذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها، حتى تفوتهم أو يخرج وقتها، ويقصدون الرياء بأعمالهم، ويعملون حيث يرون الناس ويرونهم طلباً للثناء عليهم، ويمنعون الزكاة عن مستحقيها من الفقراء والمساكين، ولا ترق قلوبهم للجوع والمحتاجين⁽¹⁾.

بيان صفات
المُكذِّب بالدين
وتصوير أفعاله
القبیحة

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

نكتة استفتاح السورة بالاستفهام:

استفتح النظم الكريم السورة بالاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾؛ لإيقاظ المخاطبين وتنبيه الأذهان لسماع باقي الكلام والإصغاء لبقية الخطاب، فقد أريد به تشويق السامع إلى تعرف المكذب؛ لأن ذلك مما يجب على المتدين معرفته؛ ليحترز عنه وعن فعله⁽²⁾، إذ الاستفهام في ابتداء الكلام يجعل الذهن متيقظاً ومنتهياً ومتشوقاً لمعرفة المستفهم عنه، فيتحقق بذلك إقبال على الكلام وإصغاء مع مزيد الاهتمام، فيتمكن الحكم في الذهن فضل تمكن⁽³⁾.

الاستفهام
بالاستفهام
محقق لمزيد
الاهتمام
والتشويق

بلغة الاستفهام وغرضه:

دل الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ على التعجب؛ فالغرض منه في السياق التعجب من حال المكذبين بالجزاء، وفي ذلك الاستفهام التعجبي عن أحوال المكذبين

صفات المُكذِّبين،
تستدعي
التعجب المبين

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 10 / 2029.

(2) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 10 / 2027.

(3) الواحدي، التفسير البسيط: 24 / 356، والهرري، حقائق الزوح والزيحان: 32 / 372.

وصفاتهم إشارة إلى أن أحوالهم عجيبة وخلا لهم غريبة؛ إذ يجتمع فيها كل سوء وانحراف، ويحتمل الاستفهام أن يدل على التقرير والتفهم؛ ليتذكر السامع من يعرفه بهذه الصفة⁽¹⁾، ومثار التعجب ليس في التّكذيب بالدين لشيوعه فيهم، بل في تلك الخلال والأحوال التي أنصف بها المكذبون من دغ اليتيم وغيره، فيترقب السامع ماذا يرد بعده، وهو قوله: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾⁽²⁾.

دلالة التعبير بفعل (الرؤية) مادة وصيغة:

عبر النظم الكريم بفعل (الرؤية) ماضياً في قوله تعالى: ﴿أَرَعَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾؛ للدلالة بصيغته على أن التعجب بطلب الرؤية أمر متحقق الوقوع، وليدل بمادته إما على (الرؤية البصرية)، وهي تتعدى إلى مفعول واحد⁽³⁾، "فإن المكذبين بالدين معروفون وأعمالهم مشهورة، فنزلت شهرتهم بذلك منزلة الأمر المبصر المشاهد"⁽⁴⁾، ويحتمل أن يكون بمعنى (أخبرني) كناية؛ إذ المعرفة والرؤية مستلزمة للإخبار؛ فذكر المزموم وأريد اللزام، ويتعدى فعل ﴿أَرَعَيْتَ﴾ إلى مفعول واحد؛ لأن البصرية تتعدى إلى مفعول واحد، وأجاز الرضي أن الرؤية القلبية تتعدى إلى واحد؛ لكونها بمعنى (المعرفة)، فحينئذ لا تقدير في الكلام⁽⁵⁾، وقرر آخرون أن ﴿أَرَعَيْتَ﴾ بمعنى: أخبرني، تتعدى لاثنتين، أحدهما ﴿الَّذِي﴾، والآخر محذوف، ويدل على أنها بمعنى أخبرني قراءة عبد الله: (أَرَأَيْتَكَ) بكاف الخطاب؛ لأن (كاف) الخطاب لا تلحق البصرية⁽⁶⁾.

الإبصار والعلم،
كناية عن الإخبار
بالكلم

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 552.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 564.

(3) للظهري، تفسيره: 10/ 349.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 565.

(5) القنوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 20/ 450.

(6) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 552، والسمين، الدرر للصون: 11/ 120.

وَالَّذِي يَتَّبِعُ أَنْ طَلَبَ الْإِخْبَارِ بِالشَّيْءِ يَتَوَلَّدُ مِنَ الرُّؤْيَةِ الْبَصَرِيَّةِ
وَالرُّؤْيَةِ الْعِلْمِيَّةِ، إِذْ يُلْزَمُ مِنْ كِلَيْهِمَا الْإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ كِنَايَةً، وَمَنْ
ثُمَّ يَجُوزُ كِلَا الرَّأْيَيْنِ، وَإِنْ كَانَ عَدَمُ التَّقْدِيرِ لِلْمَفْعُولِ الثَّانِي أَوْلَى
مِنَ التَّقْدِيرِ لَهُ.

تَعْيِينُ مَرَجِعِ الضَّمِيرِ:

يرجع ضمير الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ
بِالدِّينِ﴾، إِلَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ⁽¹⁾، وَيَكُونُ الْمُرَادُ تَعْجِيبُهُ مِنْ حَالِ
الْمُكَذِّبِينَ بِالذِّينِ وَطَلَبِ الْإِخْبَارِ عَنْ حَالِهِمْ، أَوْ عَلَى الْمَعْنَى الْمَجَازِيَّ
الصَّادِقِ بِكُلِّ مَنْ تَنَاتَتْ مِنْهُ الرُّؤْيَةُ الْبَصَرِيَّةُ وَالْعِلْمِيَّةُ، فَيَكُونُ
التَّعْجِيبُ لِعُمُومِ الْمُخَاطَبِينَ مِنْ حَالِ الْمُكَذِّبِينَ وَالطَّلَبِ مِنْهُمْ الْإِخْبَارَ
عَنْ أحوالِهِم الْعَجِيبَةِ الَّتِي يَرَوْنَهَا، وَهُوَ الْأَظْهَرُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ
يُشَاهِدُهُمْ وَيَعْرِفُ أحوالَهُمْ، وَأَمَّا الْمُخَاطَبُونَ فَإِنَّهُمْ مُحْتَاجُونَ لِمَعْرِفَةِ
أحوالِ مَنْ يُشَاهِدُونَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ، وَلِذَا أَخْبَرَهُمْ عَنْ أحوالِهِم
الْمُتَعَدِّدَةِ مِنْ دَعِ الْيَتِيمِ وَغَيْرِهِ⁽²⁾.

نَكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالاسْمِ الْمَوْصُولِ:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِالاسْمِ الْمَوْصُولِ ﴿الَّذِي﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ بِهِ إِمَّا عَلَى الْجِنْسِ⁽³⁾، فَيُعْمُ
كُلَّ مُكَذِّبٍ بِالذِّينِ مِنْ دُونِ تَحْدِيدٍ لَهُ بِمُكَذِّبٍ مُعَيَّنٍ مَعْهُودٍ، أَوْ لِلدَّلَالَةِ
بِهِ عَلَى الْعَهْدِ فِي مَكْذِبٍ مَخْصُوصٍ، وَالْمُنَاسِبُ لِلْمَقَامِ الْعُمُومِ؛ إِذْ
التَّعْجِيبُ مِنْ حَالِ الْمُكَذِّبِينَ بِالذِّينِ مِثَارُهُ صِفَاتُهُمُ الَّتِي اتَّسَمَوْا
بِهَا، وَتِلْكَ الصِّفَاتُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مُكَذِّبٍ؛ إِذْ لَا يَتَأْتِي مِنْهُمْ الْخَيْرُ؛
لِجَعْدِهِمْ بِالْجَزَاءِ أَوْ بِالإِسْلَامِ الَّذِينَ هُمَا سَبَبُ كُلِّ خَيْرٍ⁽⁴⁾.

تعجيب عموم
المُخَاطَبِينَ، مِنْ
سوء أفعال
المُكَذِّبِينَ

إرادة العُموم،
يَقْتَضِيهَا الْمَقَامُ
الْعُلُومِ

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 2027/10.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 301/32.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 566/30.

(4) القنوني، حاشيته على تفسير البضاوي: 451/20.

المبالغة في
التكذيب من
صفات المتكبر
العنيد

دلالة التعبير بفعل (التكذيب) مادةً وصيغةً:

جاء التعبير بفعل (التكذيب) مُضارعاً مُضعفًا في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾؛ للدلالة بصيغته على تكرر صدور التكذيب منهم مع دوامه، إذ كلما يسمعون الآيات تتلى عليهم يصدر منهم تكذيب وإدبار عن الحق، واختار النظم صيغة المضعف للدلالة على المبالغة في التكذيب ونسبة الكذب للحق، وليدل بمادته على رَميهم الدين بالكذب وعدم مطابقتها للواقع، أو عدم التصديق بوقوعه.

نوع الباء ودلالاتها:

الباء في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾؛ دالة على التوكيد والتقوية؛ لأنَّ الفعل متعدِّ بنفسه، فتكون الباء مقوية للتعدية مفيدة للتأكيد، فهو يُكذِّبُ الدين الحقَّ بلا تقدير مضاف، أو الجزاء والحساب بتقدير مضاف محذوف، أي: يُكذِّبُ وقوعه وحصوله، وأما إنَّ أريد بالدين يوم الحساب؛ فإنَّ الباء معدية بتقدير مضاف، تقديره: (يكذِّبُ بيوم الدين)؛ وفي ذلك إشارة إلى أنَّ تكذيبه المُستمرَّ المُتكرِّر بدلالة (المضارع)، المبالغ فيه بدلالة (التضعيف) قد التصق بالدين وأحاط به، فيكون التكذيب في أعلى درجاته كمًّا وكيفًا.

معنى تعريف لفظ (الدين):

التعريف في لفظ (الدين) في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾؛ للعهد الصادق على يوم الحساب والجزاء؛ بقرينة أنَّ مَنْ يُبْكَرُ يوم الدين والحساب والجزاء فإنه يُقدِّم على كلِّ الموبقات، بخلاف مَنْ يؤمِّن بالحساب لكنه يُنْكَرُ الإسلام فإنه قد يتصف بالأخلاق الصالحة لإيمانه بيوم الحساب⁽¹⁾.

إنكار الحساب
أساس لكلِّ قبيح
مجانِب للضواب

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 302/32.

نوع الفاء ودلائلها:

تحتمل الفاء في قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ أن تكون للعطف السببي⁽¹⁾، أي: "لعطف الصفة الثانية على الأولى؛ لإفادة تسبب مجموع الصفات في الحكم المقصود من الكلام، وذلك شأنها في عطف الصفات إذا كان موصوفها واحداً؛ فمعنى الآية عطف صفتي: دَعِ الْيَتِيمَ، وعدم الحَضُّ على إطعام المسكين على جَرْمِ التَّكْذِيبِ بالدين، وهذا يُفِيدُ تشويه إنكار البعث بما يَشَأُ عَنْ إنكاره من المدام، ومن مخالفة للحق، ومُنافياً لما تقتضيه الحكمة من التَّكْلِيفِ، وفي ذلك كناية عن تحذير المسلمين من الإقتراب من إحدى هاتين الصفتين بأنهما من صفات الذين لا يؤمنون بالجزاء"⁽²⁾.

وتحتمل الفاء أن تكون داخلة في جواب شرط محذوف، والمعنى: هل عرفتَ الذي يُكذَّبُ بالجزاء من هو؟ إن لم تعرفه فذلك الذي يُكذَّبُ بالجزاء هو الذي يَدْعُ الْيَتِيمَ"⁽³⁾، وهذا الوجه محتمل وقوي؛ لأنَّ ﴿أَرَأَيْتَ﴾ بمعنى: أخبرني، ولما لم يأت الإخبار من المخاطب ترتب الجواب على الشرط المقدّر المحذوف، لكن ظاهر النظم يفيد التفرّيع التَّسْبُيَّ عن التَّكْذِيبِ بالدين، وما يؤدي إليه من أمراض اجتماعية وأخلاق أنانية. بقي أن الإعراب حينئذٍ (ذلك) على أنه مُبتدأ، والموصول خبره، والجملة الاسمية جوابٌ لذلك الشرط المقدّر، والتقدير: (إن طلبت معرفة ذلك المكذب بصفاته، فهو الذي يدعُ اليتيم"⁽⁴⁾.

نكتة التعبير باسم الإشارة للبعيد:

آثر النظم الكريم استعمال اسم الإشارة للبعيد ﴿فَذَلِكَ﴾:

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 10 / 554.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 565.

(3) الرَّمْخُسَرِيُّ، الكشف: 4 / 804.

(4) الهريري، حقائق الروح والريحان: 32 / 363.

التَّكْذِيبُ بِالْجَزَاءِ
سَبَبٌ لِكُلِّ
فُخْشَاءٍ

"لِتَمَيِّزِهِ أَكْمَلَ تَمَيِّزٍ حَتَّى يَتَبَصَّرَ السَّامِعُ فِيهِ وَفِي صِفَتِهِ، أَوْ لِنَزْلِهِ مَنَزَلَةَ الظَّاهِرِ الْوَاضِحِ بِحَيْثُ يُشَارُ إِلَيْهِ"⁽¹⁾.

فائدة التعبير بالموصول:

أفاد التعبير بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾؛ الإبهام المحتاج إلى التفصيل والتوضيح، فيكون هنالك تشويق للمخاطب لمعرفة المفسر.

بلاغة استعمال مفردة (الدَّعَى) مادةً وصيغةً:

آثر النظم الكريم استعمال مفردة ﴿يَدْعُ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾؛ ليدل بمادته على الدفع العنيف والاستخفاف الكبير والجفاء الشديد على اليتيم، أي: يدفعه عن حقه دفعًا بعنف وجفوة؛ كقوله: ﴿يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾⁽²⁾، [الطور: 13]، فيظلمه ويدفعه عن حقه فلا يعطيه⁽²⁾، وجاء بصيغة المضارع للدلالة به على التجدد الاستمراري لفعل التعنيف والدفع الشديد لليتيم، مما يدل على قسوة القلب واستحكام التكذيب بالجزاء والحساب، وفي اختيار هذه الصيغة المضاعفة ما يفيد القوة والشدة؛ إذ حاكَّت شدة صوت الدال وعمق حرف الحلق مدى التعنيف البالغ والمفراط في الإيذاء، ففي قوله: ﴿يَدْعُ﴾ "بالتشديد فائدة"، وهي أن يدْعُ بالتشديد معناه أنه يعتاد ذلك، فلا يتناول الوعيد مَنْ وَجِدَ مِنْهُ ذَلِكَ وَنَدِمَ عَلَيْهِ"⁽³⁾.

معنى تعريف لفظ ﴿الْيَتِيمَ﴾:

تعريف لفظ ﴿الْيَتِيمَ﴾ للجنس المفيد للاستغراق، فالمكذبون بالدين لا يفرقون بين يтим وغيره؛ فالكل عندهم سواء في التعامل معه بالإيذاء والتعنيف.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 564 / 30.

(2) الواحدي، التفسير البسيط: 357 / 24.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 302 / 32.

جزش الكلمة
يُوحى بالخشونة
والغلظة
كمعناها

توجيه تخصيص اليتيم بالذكر:

خَصَّ النَّظْمُ الْكَرِيمَ ﴿الْيَتِيمَ﴾ بالذكر في قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾، مع أَنَّ الْمُكْذِبَ يَدْعُ كُلَّ الْفُقَرَاءِ وَيُعْنِفُهُمْ؛ "لأنَّه أَوْحَقُّ بِالْمَرْحَمَةِ مِنْ سَائِرِ الْمَسَاكِينِ، كما يدلُّ عليه قوله: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾؛ لأنَّه يدلُّ بالأُولَوِيَّةِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْفَقُ عَلَى الْمَسْكِينِ بَلْ يَدْعُهُ"⁽¹⁾.

مَنْ لَمْ يَرَأْفَ
بِالْيَتِيمِ فَلَنْ
يَرْحَمَ الْعَاجِزَ
الْفَقِيرَ

مناسبة العطف ودلالته:

دَلَّ الْعُطْفُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ عَلَى الْجَمْعِ وَالِاقْتِرَانِ بَيْنَ عَدَمِ الْحَضِّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ وَدَعِّ الْيَتِيمِ، إِذْ نَتِجَةُ التَّكْذِيبِ بِالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ يُقَدِّمُ عَلَى هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ الْمُؤْذِيَتَيْنِ، فَالْجَامِعُ عَقْلِيٌّ لِاتِّحَادِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فِيهِمَا.

الْبُخْلُ وَالشُّحُّ
الشَّدِيدُ،
خُلْتَانِ لِلتَّكْذِيبِ
بِالْوَعْدِ

دلالة النفي بحرف (لا):

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِ(لا) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى نَفْيِ الْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ؛ فَهُوَ لَا يَحْضُ عَلَى إِطْعَامِ الْمَسْكِينِ فِي وَقْتٍ دُونَ آخَرٍ، بَلْ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ وَأَحْوَالِهِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى قَسْوَةِ الْقَلْبِ الشَّدِيدَةِ، وَامْتِلَاءِ النَّفْسِ بِحُبِّ الدُّنْيَا الطَّاعِي عَلَى جَمِيعِ الْمَشَاعِرِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فَلَا يَطْرَأُ عَلَيْهِ تَغْيِيرٌ بِسَبَبِ الرَّحْمَةِ أَوْ الرَّأْفَةِ.

انْتِفَاءُ الْإِطْعَامِ
لِلْمَسَاكِينِ مِنْ
شَيْمِ الْمُكْذِبِينَ
بِالدِّينِ

دلالة التعبير بصيغة المضارع:

جَاءَ التَّعْبِيرُ بِفِعْلِ (الْحَضِّ) مُضَارِعًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ التَّجَدُّدِيِّ؛ فَهُوَ تَارِكٌ لِلْحَضِّ عَلَى إِطْعَامِ الْفُقَرَاءِ بِشَكْلِ مُسْتَمِرٍّ وَدَائِمٍ بُخْلًا وَتَكْذِيبًا بِالْجَزَاءِ عَلَيْهِ، وَمِنْ ثَمَّ اسْتَحَقَّ الذَّمُّ عَلَيْهِ⁽²⁾، "وهذا إِيذَانٌ

انْتِفَاءً وَإِذْعًا
الْإِقْبَالَ عَلَى
الْفَضَائِلِ،
دَاعٍ إِلَى تَرْكِهَا
وَالْإِقْبَالَ عَلَى
الرِّذَائِلِ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 452 / 20.

(2) الواحدي، التفسير البسيط: 358 / 24.

بأن الإيمان بالبعث والجزاء هو الوازع الحق الذي يغرس في النفس جذور الإقبال على الأعمال الصالحة؛ حتى يصير ذلك لها خلقاً إذا شئت عليه، فزكت وأنسقت إلى الخير بدون كلفة ولا احتياج إلى أمر، ولا إلى مخافة ممن يقيم عليه العقوبات، حتى إذا اختل بنفسه وأمن الرقباء جاء بالفحشاء والأعمال النكراء⁽¹⁾.

نكتة حذف متعلق فعل (الحض):

حذف النظم الكريم متعلق فعل (الحض) في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾؛ للدلالة على العموم، فيكون صادقاً بعدم حض نفسه وعدم حض غيره من الناس⁽²⁾، فيكون بمنتهى البخل والشح.

بلاغة الكناية في ترك الحض:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ كناية عن البخل الشديد؛ إذ يلزم من عدم التحريض على العناية بالفقراء والمساكين وعدم تقديم الطعام المستحق لهم أنه بمنتهى البخل والقسوة، وذلك موجب للوم والتعنيف، قال الهرري: "فإن قلت: قد لا يحض المرء في كثير من الأحوال، ولا يعد ذلك إثماً، فكيف يدّم به؟ قلت: إنما لأن عدم حضه لعدم اعتقاده بالجزاء، وإما لأن ترك الحض كناية عن البخل ومنع المعروف عن المساكين، ولا شبهة في كونه محل الذم والتوبيخ، كما أن منع الغير من الإحسان كذلك"⁽³⁾، فكني "بنفي الحض عن نفي الإطعام؛ لأن الذي يشح بالحض على الإطعام هو بالإطعام أشح"⁽⁴⁾.

البخل ومنع
المعروف، خلق
للكذابين المألوف

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 565 / 30.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 303 / 32، وحاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 452 / 20،

والهرري، حقائق الروح والزيجان: 364 / 32.

(3) الهرري، حقائق الروح والزيجان: 364 / 32.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 566 / 30.

توجيه تخصيص الدّع وعدم الحَصّ بالذكر:

حَصَّ النَّظْمُ الْكَرِيمُ خَصْلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ الْمَكْذِبِ بِالَّذِينَ بِالذِّكْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ مَعَ أَنَّ الْمَكْذِبَ بِالَّذِينَ لَا يَقْتَصِرُ عَلَيْهِمَا، فَجَعَلَ "الْمَنْعَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْإِقْدَامَ عَلَى إِذَاءِ الضَّعِيفِ عَلَمًا لِلتَّكْذِيبِ بِالْجِزَاءِ؛ لِيُؤْذِنَ بَأْنَهُمَا مِنَ الشَّدَّةِ وَالْغِلْظَةِ بِمَكَانٍ يَنْبَغِي أَنْ يَحْتَرِزَ الْمُؤْمِنُونَ عَنْ أَمْثَالِهِمَا؛ لِأَنَّهُمَا مِنْ أَوْصَافِ الْكَافِرِينَ الْمَكْذِبِينَ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِ الرَّمَخَشَرِيِّ: "فَمَا أَشَدُّهُ مِنْ كَلَامٍ، وَمَا أَخَوْفُهُ مِنْ مَقَامٍ! وَأَنَّهَا جَدِيرَةٌ بِأَنْ يُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى ضَعْفِ الْإِيمَانِ"⁽¹⁾.

دلالة استعمال حرف الاستعلاء:

استعمل النَّظْمُ الْكَرِيمُ حَرْفَ الْجَرِّ ﴿عَلَى﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْاسْتِعْلَاءِ الْمَجَازِيِّ؛ لِأَنَّ الْحَضَّ لَا يَكُونُ عَلَى الطَّعَامِ أَوْ الْإِطْعَامِ، لَكِنَّهُ أُرِيدَ بِهِ التَّمَكُّنُ وَالْعُلُوُّ الْمَعْنَوِيُّ مِبَالِغَةً فِي عَدَمِ تَحْرِيطِهِ عَلَى تَقْدِيمِ الطَّعَامِ لِلْمَسْكِينِ، وَلَمَّا كَانَ الْحَضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسَاكِينِ مِنْ صَنِيعِ أَهْلِ الْعِزَائِمِ، نَاسِبٌ اسْتِعْمَالُ التَّرْكِيبِ الَّذِي فِيهِ مِبَالِغَةٌ لِلتَّلْمِيحِ وَالْإِيْمَاءِ إِلَى حَضِّ أَهْلِ الْإِيمَانِ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ، فَغَايَةُ النَّفْيِ التَّعْرِيطُ بِإِثْبَاتِ الْفِعْلِ لِأَهْلِهِ، وَبِالْتَّالِي دَلُّ التَّرْكِيبِ عَلَى ذَمِّ الْمَكْذِبِينَ وَمَدْحِ الْمُؤْمِنِينَ.

فائدة التعبير بلفظ ﴿طَعَام﴾ دون ﴿إِطْعَام﴾:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِلَفْظِ ﴿طَعَام﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ بِهِ إِمَّا عَلَى مَا يُطْعَمُ، فَيَكُونُ اسْمُ ذَاتٍ، أَوْ لِلدَّلَالَةِ بِهِ عَلَى اسْمِ مَصْدَرِ الْإِطْعَامِ، فَيَكُونُ اسْمُ حَدَثٍ، فَالْمَكْذِبُ بِالَّذِينَ لَا يَحْضُ عَلَى ذَاتِ الطَّعَامِ وَلَا عَلَى الْإِطْعَامِ نَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ الطَّعَامُ بِمَعْنَى (الْإِطْعَامِ) فَهُوَ ظَاهِرٌ، وَإِلَّا فَفِيهِ مُضَافٌ مُقَدَّرٌ، أَي:

لا يُشْتَرَطُ فِي
التَّمْثِيلِ الْحَصْرُ
بِإِبْرَارِ الْأَشْهُرِ
الْأَعْرَفِ

الحَضُّ عَلَى
الْخَيْرِ مِنْ صَنِيعِ
أَهْلِ الْعِزَائِمِ

تَعَدُّدُ
الْإِحْتِمَالَاتِ
تَثْرِي الدَّلَالَاتِ

(1) الرَّمَخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 4/ 804، وَالطَّبِيبِيُّ، فَتُوْحُ الْغَيْبِ: 16/ 595.

بذلِ طَعَامِ الْمِسْكِينِ، واختيارُهُ على (الإطعام)؛ للإشعارِ بأنَّه كأنَّه مالكٌ لما يُعطى له؛ كما في قوله: ﴿فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ^(١) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ^(٢)﴾ (العلاج: 24 - 25)، فهو بيانٌ لشِدَّةِ الاستحقاقِ، وفيه إشارةٌ للنَّهي عن الامتنان^(٣).

نوع الإضافة ودلالاتها:

تخصيص
الطَّعام
بالمسكين، دليل
استحقاقه
وبرهان ظلمه
من اللانعين

أضافَ النَّظْمُ الكريمُ لفظَ ﴿طَعَامٌ﴾ إلى ﴿الْمِسْكِينِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾؛ للدلالة به إمَّا على مجردِ التَّخْفِيفِ اللَّفْظِيِّ؛ بناءً على أنَّ: "الطَّعامَ: اسْمُ الإطْعَامِ، وهو اسْمٌ مَصْدَرٌ مُضَافٌ إِلَى مَفْعُولِهِ إِضَافَةً لَفْظِيَّةً، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ (الطَّعامُ) مُرَادًا بِهِ مَا يُطْعَمُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ [البقرة: 259]، فَتَكُونُ إِضَافَةُ (طَعَامٍ) إِلَى (الْمِسْكِينِ) مَعْنَوِيَّةً عَلَى مَعْنَى (اللَّامِ)، أَي: الطَّعامُ الَّذِي هُوَ حَقُّهُ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ، وَيَكُونُ فِيهِ تَقْدِيرُ مُضَافٍ مَجْرُورٍ بِـ (عَلَى) تَقْدِيرُهُ: (عَلَى إعْطَاءِ طَعَامِ الْمِسْكِينِ)"^(٢)، ونكتة الإضافة الدلالة "على أنَّ ذَلِكَ الطَّعامَ حَقُّ الْمِسْكِينِ، فَكَأَنَّهُ مَنَعَ الْمِسْكِينَ مِمَّا هُوَ حَقُّهُ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى نِهَايَةِ بُخْلِهِ وَقِسَاوَةِ قَلْبِهِ وَخَسَاسَةِ طَبْعِهِ"^(٣).

معنى تعريف لفظ ﴿الْمِسْكِينِ﴾ ونكتة إفراده:

الإفراد في سياق
التنفي مُحَقِّقٌ
للاستغراق
الشُّمولي

عُرِّفَ لفظُ ﴿الْمِسْكِينِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾؛ للاستغراقِ؛ مُبَالِغَةً فِي نَفْيِ حُضِّهِ عَلَى الإطْعَامِ؛ فهو لا يَحْضُ عَلَى إِطْعَامِ أَيِّ مِسْكِينٍ أَوْ فَقِيرٍ مُحْتَاجٍ، مهما بلغ عَوْرُهُ، واشتدَّت حاجتُهُ، "وَاخْتِيرَ الْمَفْرَدُ؛ لِأَنَّ اسْتِغْرَاقَهُ أَشْمَلُ"^(٤)، ولذلك لم يأتِ مجموعًا.

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 552 / 9.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 566 / 30، وأبو حيان، البحر المحیط: 552 / 10.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 302 / 32، وحاشية القنوني على تفسير البيضاوي: 452 / 20.

(4) القنوني، حاشيته على تفسير البيضاوي: 452 / 20.

نوع الفاء ودلالاتها الارتباطية بالسابق:

تحتمل (الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ أن تكون للجزاء والجواب، والتقدير: "إذا كانَ عدمُ المبالاةِ باليتيم من ضَعْفِ الدين، والموجبِ للذمِّ والتوبيخ؛ فالسَّهْوُ عن الصَّلَاةِ الَّتِي هي عِمَادُ الدِّينِ، والرياءُ الَّذِي هو شُعْبَةُ الكُفْرِ ومنعُ الزَّكَاةِ الَّتِي هي قَنْطَرَةُ الإِسْلَامِ أَوْلَى بِذلك، ولذلك رَتَّبَ عليه الوَيْلَ"⁽¹⁾، وينبني على هذا أن يكونَ قوله: ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾ منقطعاً عن الكلام السابق، من حيث إنَّ: "المُرَادَ بالمصلِّينَ غيرَ المُكذِّبِ بالدين؛ لأنَّ المُكذِّبَ المُعَبَّرَ عنه بـ(الَّذِي) للعَهْدِ الكافرِ كالوليدِ والعاصِ، و(المُصلِّونَ): المُسْلِمُونَ، والذي يدلُّ على أنَّ المراد بـ(المُصلِّينَ) غيرَ المُكذِّبِ، قولُ الزَّمَخْشَرِيِّ: "ثُمَّ وُصِّلَ بِهِ قَوْلُهُ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾، كَأَنَّهُ قَالَ: "فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ يَسْهَوْنَ"⁽²⁾، وأفادت الفاء التَّرْقِيَّ في الشَّنَاعَةِ، ولذا رَتَّبَ عليها (الويل) فقال: "ترقُّ لما هو أقوى، أي إذا كان ما ذكرَ بهذه المثابة فما بالُ الغافلِ عن صَلَاتِهِ؟ والحاصلُ أنَّ ما ذكرَ من أَوَّلِ السُّورَةِ كونه شَرْطًا وسببًا لكونِ ترتُّبِ كونِ الوَيْلِ لِلْمُصَلِّينَ، كَأَنَّهُ قِيلَ: إذا كان الأمرُ كَذَلِكَ فالسَّهْوُ والرياءُ ومنعُ الزَّكَاةِ أحقُّ بِذلك، لكونها فوقَ ذلك، وإذا كانَ السَّهْوُ وأخواه أحقُّ بِذلك فويلٌ للمُصلِّينَ"⁽³⁾.

وتحتمل أن تكون الفاء عَلَى "معنى التَّفْرِيعِ والتَّرْتُّبِ والتَّسَبُّبِ، فَيَجِيءُ عَلَى الْقَوْلِ: إِنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ بِأَجْمَعِهَا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بـ(المُصَلِّينَ) عَيْنَ الْمُرَادِ بـ(الَّذِي يُكذِّبُ بالدين، وَيَدْعُ الْيَتِيمَ، وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ)، فَقَوْلُهُ ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾ إظهارٌ في مقام الإِضْمَارِ؛ كَأَنَّهُ قِيلَ: فَوَيْلٌ لَهُ عَلَى سَهْوِهِ عَنِ الصَّلَاةِ، وَعَلَى الرِّيَاءِ،

(1) الظهري، تفسيره: 349/10.

(2) الزَّمَخْشَرِيُّ، الكَشَافُ: 4/804.

(3) القنوني، حاشيته على تفسير البيضاوي: 455/20، والطَّبِّي، فتوح الغيب: 594/16.

العطف أو
الجزاء له أثر في
انقطاع الكلام
وارتباط الأجزاء

وَعَلَى مَنْعِ المَاعُونِ⁽¹⁾، وتلخص من هذا الكلام أَنَّ الخلافَ في ارتباطِ المصلِّينَ بالمُكذِّبِ بالدِّينِ دعا إلى الاختلافِ في تحديدِ دلالةِ (الفاءِ)، فمنَ حكمٍ بأنَّ المصلِّينَ هو المُكذِّبُ بالدِّينِ جعلَ الفاءَ للسَّبَبِيَّةِ، ويكونُ مِنْ وَضْعِ الظَّاهِرِ مَوْضِعِ المَضْمَرِ، وَمَنْ جعلَ (المُصلِّينَ) همَ المُسلمينَ رأى أَنَّ (الفاءَ) واقعةٌ في جوابِ شرطٍ مقدَّرٍ، ولا يخفى أَنَّ الأنسبَ الارتباطُ؛ لأنَّ السُّورَةَ في تعدادِ أوصافِ المُكذِّبِ بالدِّينِ، إلا أنَّ النُّظْمَ حرصَ معَ ذكرِ الأوصافِ على التَّهديدِ والوَعيدِ بالعذابِ، فعطفَ بلفظِ العذابِ معَ ذكرِ بقيَّةِ الصِّفَاتِ.

غرض تنكير لفظ (وَيْلٌ):

نكر لفظ (ويلٌ) في قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾؛ للدلالة على التَّعْظِيمِ والتَّفْخِيمِ من ذلك العذابِ الشَّدِيدِ، والغرضُ مِنَ التَّعْظِيمِ الرَّدْعُ والزَّجْرُ لِلْمُكذِّبِ بالدِّينِ المُتَحَلِّي بتلك الصِّفَاتِ الذَّمِّيةِ، حتى يعودَ لجاذبةِ الصَّوابِ ويتخلَّقَ بصفاتِ المُسلمينَ، أو لردعِ المنافقينَ عن نفاقهم، ويعلموا أَنَّ الرِّياءَ يُقَرِّبُهُمْ في المعتقد من المُكذِّبينَ، وذلك بحسبِ معنى الفاء كما سبق بيانه.

نكتة ترك سرد الصِّفَاتِ وإيراد لفظ (وَيْلٌ):

غَيَّرَ النُّظْمُ الكريمُ الأسلوبَ بإيرادِ قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ بدلَ القولِ: (وَيْصَلِّي سَاهِيًا عَنْهَا)؛ وذلك لتفريعِ الوعيدِ على المتقدمِ ذكره، على أحدِ القولين، ولو جاء الكلامُ سرِّدًا لما احتملَ هذا المعنى، وللتَّخْلِصِ من سَرِدِ الصِّفَاتِ المِثِيرِ لِلسَّامَةِ، فوضعَ لفظَ (الْوَيْلِ) للتَّهديدِ والوَعيدِ أثناءَ سَرِدِ الصِّفَاتِ، ولِأَنَّ ذَلِكَ التَّتَابُعَ لَا يَخْلُو مِنْ كَثَرَةِ تَكَرُّرِ النُّظَائِرِ فَيُشَبِّهُ تَتَابُعَ الإِضَافَاتِ الَّذِي قِيلَ إِنَّهُ

التَّعْظِيمُ
والتَّفْخِيمُ
لِلتَّهْدِيدِ مِنْ
العَذَابِ الأَلِيمِ

تَتَابُعُ الصِّفَاتِ،
يَقُودُ إِلَى السَّامَةِ
فِي سَمَاعِ
الْكَلِمَاتِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 566، والظاهر، تفسيره: 10/ 349.

مُنَاكِدٌ لِّفَصَاحَةٍ، مَعَ الْإِشَارَةِ بِتَوْسُطِ (وَيْلٌ) لَهُ إِلَى أَنَّ الْوَيْلَ نَاشِئٌ عَنْ جَمِيعِ تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي هُوَ أَهْلُهَا⁽¹⁾.

نوع اللام ودلالاتها:

اللام في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾؛ للاستحقاق والاختصاص، فيكون التهديد أشد وأنكى؛ لأنَّ سَمَاعَ المهدّد بتخصيص العذاب به واستحقاقه له يجعله يرتدّع عن تلك الصّفات الذميمة التي أعلاها التّكذيب بالدين والحساب.

تخصيص
العذاب، يرتدّع
عن التّكذيب
بالحساب

معنى تعريف لفظ ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾ ونكتة الجمع:

تعريف لفظ ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾ للاستغراق المفيد للعموم؛ سواء أُريدَ بالمصلين المكذّبون بالدين أو أُريدَ بالمصلين من يظهر إسلامه؛ فكلُّ أفراد المصلين من الفريقين يكون الويل لهم إن غفلوا عن الصّلاة وتركوها غير مُبالين بأدائها، ومن مُلائمات التهديد والتّخويف أن يكون مُتناولاً للجميع بلا استثناء، "وأتى بصيغة الجمع؛ تنبيهاً على أن الكثرة ليست لها عنده عزّة؛ لأنَّ إهانة الجمع مُستلزمة لإهانة الأفراد من غير عكس فقال: ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾"⁽²⁾.

تعميم الدلالة
مناسب للتهديد
الفظيع

نكتة وضع الظاهر (المصلين) موضع الضمير:

وَضَعَ النّظْمُ الْكَرِيمُ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ولم يقل: (فويلٌ له أو لهم)؛ بناءً على أن المراد بـ(المصلين) في النّظم هم المكذّبون بالدين وليسوا المسلمین؛ للدلالة على أنّهم لم يكتفوا بتلك الخصال الذميمة، بل زادوا عليها صفات شنيعة من الغفلة عن الصّلاة، وأدائها رياءً ومنعهم الزّكاة، قال القاسمي: "و(المصلين) من باب وضع الظاهر موضع الضمير؛ للتسجيل عليهم بأنّ أشرف أفعالهم وصوّر حسناتهم سيئات

القول بوضع
الظاهر موضع
الضمير باعتبار
التفسير

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 566 / 30، والظهوري، تفسيره: 349 / 10.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 280 / 22.

وذنوب، لعدم ما هي به مُعتبرة من الحضور والإخلاص⁽¹⁾، وعلى جعل المصلين المنافقين، فالكلام على ظاهره وليس هناك إظهار لما حقه الإضمار.

دلالة الاسم الموصول:

جاء التعبير بالاسم الموصول **﴿الَّذِينَ﴾** في قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾**؛ للتعليل بما في صلة الموصول، فهم استحقوا الويل والوعيد والتهديد؛ لأنهم عن صلاتهم ساهون، فهو تعليل بإظهار صفة المستحق للوعيد، وأوقع النظم الموصول نعتاً؛ للدلالة على التخصيص الصادق بالمصلين المسيئين في صلاتهم دون المحسنين والمجودين لها.

دلالة استعمال الضمير المنفصل:

استعمل النظم الكريم ضمير الغائب **﴿هُمْ﴾** العائد إلى (المصلين)، دون أن يقول: (الذين يسهون عن صلاتهم)؛ للإشعار بخصوص الوعيد لهم وتأكيده، أي: الويل لهم دون غيرهم؛ فالوعيد خاص بمن هذه صفته، وهذا حاله، فأفاد الاسم الموصول التعليل والتخصيص، ثم أفاد الضمير تخصيصاً آخر؛ لبيان شناعة السهو عن الصلاة، وعدم إعطائها حقوقها ومقتضياتها.

نكتة التعدية بحرف **﴿عَنْ﴾** دون **﴿فِي﴾**:

آثر النظم الكريم استعمال حرف **﴿عَنْ﴾** في قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾**، دون حرف (في) للدلالة على المجاوزة؛ حيث يتجاوز السهو والغفلة وقلة الاكتراث الصلاة رغبة عنها، بمعنى أنهم لا يؤدونها ولا يقيمونها، ولأن السهو إذا عُدِّي بـ(عن) يكون بمعنى: غافلين معرضين وعدم المبالاة بها⁽²⁾، وصلاة المؤمن لا

تعليل الويل
للمصلين
بالصلة الكاشفة
عن العيب
المُشين

السهو عن
الصلاة هو علة
الوعيد، وبه
استحق الساهي
التهديد

السهو عن
الصلاة كناية
عن الرغبة عنها
وعدم الاكتراث
بها

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 9 / 553.

(2) القنوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 20 / 454.

تخلو عن سهو فيها، "والمذموم هو السهو عنها بمعنى تركها والتفريط فيها لا السهو فيها"⁽¹⁾، ولذا لم يقل: (في صلاتهم ساهون)؛ لأن ذلك شأن بشريّ ينجم عن التعب والقلق، بخلاف السهو عنها؛ فإنه ينجم عن رغبتهن عنها وعدم تعلقهن بأدائها، ولا يكثرثون إن غفلوا عن أدائها أصلاً.

نوع الإضافة وغرضها:

أضيف لفظ (الصلاة) إلى ضمير الغائبين في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾؛ للدلالة على تعيين الصلاة وتعريفها؛ إذ يكتسب المضاف التعريف من المضاف إليه، والإضافة بمعنى اللام، إذ هي صلاة لهم، يُعرفون بها، ويكتسبون حكم الذم بسببها، فهي ليست كصلاة غيرهم المقبولة، فللمؤمنين صلاة معهودة، يُقيمونها في حياتهم، ولهؤلاء صلاة معهودة كذلك، لا يُقيمونها في حياتهم، بل يُميتونها ويُنقصونها.

دلالة التعبير بصيغة اسم الفاعل:

أثر النظم الكريم التعبير باسم الفاعل ﴿سَاهُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾؛ للدلالة بصيغته على وصف مُلّازم لهم، وأن ذلك الوصف قد رسخ فيهم على سبيل الاستحكام والتمكن فيهم، وفي نسبة السهو إليهم ما يدل على تعمدهم فهو صادرٌ منهم راغبين فيه، وليدل بمادته على السهو المجازي بمعنى الغفلة والإعراض والتّرك.

غرض تقديم شبه الجملة على السند:

قدّم النظم الكريم الجار والمجرور ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾ على المشتق ﴿سَاهُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾؛ للدلالة على الحصر والتخصيص الإضافي، فهم عن الصلاة يسهون

الصّلاة ما بين
إقامتها وإماتها
يتعيّن مصير
صاحبها

الغفلة شعارهم
والإعراض
قرازمهم

حضر السهو
بالصلاة، دليل
عدم الاكتراث
والبالاة

(1) الهرّي، حقائق الرّوح والزيّحان: 32 / 373.

بخلاف أعمالهم الدنيوية الأخرى فإنهم لا يسهون عنها، ويلزم من ذلك سهوهم عن كل ما يفرض عليهم، ففي حصر السهو بالصلاة مع أنها كتاب موقوت دليل على عدم ملاحظتها بالكلية، والانشغال عنها بأعمالهم وشؤونهم الحياتية، وما ذلك إلا دليل التكذيب بالحساب والجزاء.

بلغة المجاز في لفظ «سَاهُونَ»:

شبه ترك العمل بمقتضى الصلاة من إصلاح الظاهر والباطن بالسهو عنها، فهم يصلون أمام الناس لكنهم لا يعملون بمقتضاها المطلوب، الذي لأجله شرعت الصلاة، والسهو: دُهولٌ عن أمر سبق علمه، وهم لم يذهلوا عن الصلاة بل تركوا العمل بمقتضاها فضلاً عن الخشوع فيها؛ فهو تشبيه ترك العمل وإقامتها في ذاتها وفي الحياة بالسهو، "بجامع الإعراض في كل؛ لأنهم تاركون لها رأساً، أو إن حصلت منهم تكون رياءً وسُمةً، فهي كلا صلاة"⁽¹⁾، وهو من باب الاستعارة التصريحية التبعية.

ومن فسر السهو عن الصلاة بتركها، جعل السهو مُستعاراً للإعراض والتَّرك عن عمْد استعارة تهكمية مثل قوله تعالى: ﴿وَتَنَسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 41] أي: تُعرضون عنهم، ومثله استعارة الغفلة للإعراض في قوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 136]، وذلك يُنادي على أن وصفهم بالمصلين تهكم بهم بأنهم لا يصلون⁽²⁾.

ويحتمل أن يكون السهو مجازاً مُرسلاً لعلاقة (اللزوم) بين السهو والغفلة، "فالسهو هنا مجاز عن الغفلة وعدم المبالاة؛ لكونه لازماً له وإن كان بينهما فرقاً؛ بأن الغفلة اللازمة للسهو الحقيقي

(1) الهرري، حقائق الروح والزيجان: 373 / 32.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 569 / 30.

غير اختياريّة، والغفلة المرادة مجازاً اختياريّة؛ فإنّ هذا القدر كافٍ في العلاقة؛ فحينئذٍ إطلاقُ (المُصَلِّين) عليهم مع غفلتهم، بلّ مع تركهم رأساً؛ لأنّ الصّلاة من شأنهم أنّ يصلّوها؛ فأطلق المُصَلِّونَ عليهم مجازاً بعلاقة الاستعداد لها⁽¹⁾.

دلالة التعبير بجملة الصّلة اسميّة:

عبّر النّظم الكريم بجملة الصّلة اسميّة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾؛ للدلالة على أنّ الغفلة عن الصّلاة والإعراض عنها دأبهم وعادتهم المُستمرّة، وفي ذلك إشارة إلى أنّهم تاركون لمقتضيات الصّلاة على سبيل الثبوت والدوام، وثبوت السّهو عن الصّلاة هو الذي رماهم بنار الوعيد.

ديمومة السّهو
عن الصّلاة هو
الذي رماهم بنار
الوعيد

دلالة الاسم الموصول:

عبّر النّظم الكريم بالاسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾؛ للدلالة به على تعليل ثبوت الويل للمُصَلِّين، فريأؤهم سبب صلاتهم المسهوّ عنها.

دلالة تقديم الضمير على المسند الفعلي:

قدّم النّظم الكريم المسند إليه على المسند الفعليّ في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾؛ لتقوية الحكم، أي: تأكيد⁽²⁾؛ إذ تكرّر الإسناد إلى الضمير مرّتين، مع إفادته اختصاص الرّياء بهم على سبيل المبالغة والادّعاء؛ لأنّ شأن المؤمنين إنّ وقع منهم رياءٌ استغفروا وتابوا بخلاف المكذّبين بالدين؛ فإنّهم يتعمّدون الرّياء ولا ينفكّون عنه، فانحصّر فيهم الرّياء لذلك.

التّقوية
والانحصار
مُثَبِّتٌ للإخبار

بلاغة التعبير بصيغة المضارع والمفاعلة:

جاء التعبير بصيغة المضارع لفعل الرّياء في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ﴾

(1) القنوني، حاشيته على تفسير البضاوي: 454 / 20.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 568 / 30.

مُلَازِمَةُ الإِرَاءَةِ
بَحْنًا عَنِ
السُّمْعَةِ
وَالْوَجَاهَةِ

هُمُ يُرَاءُونَ: للدلالة بصيغته على التجدد الاستمراري في صدور الرياء منهم في صلاتهم وسائر أعمالهم الخيرية، ودلت صيغة (المفاعلة) على المشاركة والمبالغة؛ إذ كل واحد من هؤلاء المظهرين للصلاة يُرائي بها الآخرين، ويظهر العمل الحسن سُمعةً ووجاهةً دنيويةً، فهم "يقصدون أن يرى الناس أنهم على حالٍ حسنٍ وهم بخلافه؛ ليتحدث الناس لهم بمحاسن ما هم بموصوفين بها، ولذلك كثر أن تُعطف السُمعة على الرياء، فيقال: رياءٌ وسُمعةٌ، وهذا الفعل واردٌ في الكلام على صيغة (المفاعلة) ولم يُسمع منه فعلٌ مُجرّد؛ لأنه يُلَازِمُهُ تَكْرِيرُ الإِرَاءَةِ"⁽¹⁾.

نكتة حذف مفعولي ﴿يُرَاءُونَ﴾:

حُذِفَ متعلق فعل ﴿يُرَاءُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾، والتقدير: (يُراَوْنَ الناس أعمالهم) أي: يُروْنَ الناس أعمالهم ليُروهم الثناء عليها⁽²⁾، وغرض الحذف إفادة العموم، فهم يُراَوْنَ كل الناس وجميع ما يصدر عنهم من أعمالٍ تُفيد السُمعة والوجاهة، ويَحْتَمِلُ أن يكون الفعل المتعدي مُرادًا به اللزوم، أي: الذين يوجد منهم الرياء ويتحقق فيهم تحققًا مُلَازِمًا لا ينفك عنهم، واجتماع الداللتين ليس ببعيد، فصفة الرياء راسخة فيهم، وعدم ذكر المفعولين للعلم بهما من السياق.

نكتة اختلاف التعبير باسم الفاعل ﴿سَاهُونَ﴾ وبالفعل المضارع ﴿يُرَاءُونَ﴾:

اختلف التعبير من حيث الصيغة بين الإخبار عن المصلين بالسَّهْوِ والمرءاة، فعبرَ باسم الفاعل ﴿سَاهُونَ﴾ وبالفعل المضارع ﴿يُرَاءُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ: وذلك لبيان أن السَّهْوَ عن الصلاة مرتبطٌ بأمرٍ ثابتٍ

عَلَّةُ الرِّيَاءِ
لِلتَّجَدُّدِ ثَبَاتِ
عَدَمِ الْإِيمَانِ
لِلْفُضْيِ إِلَى
السَّهْوِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 568.

(2) القنوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 20 / 455.

وهو عدم إيمانهم، وأما الرياء فهو يتجدد بحسب الموقف والزمان والاعتبار، وعلة الرياء المتجددة السهو الثابت المقترن بعدم الإيمان.

بلادة الاحتراس في العطف:

أفاد عطف ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ على ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤْنَ﴾؛ اقتران منع الماعون عن الناس بالرياء، والجامع بين الجملتين عقلي؛ لاتحاد المسند إليه فيهما، ولكون المرائي في العطاء مُستلزمًا للشح في المال، كما أفاد العطف إثبات الدليل على ربايتهم وبحثهم عن السُّمعة في أعمالهم؛ إذ منعهم الماعون دليلٌ بخليهم وشحهم، فعطائهم في بعض الأحيان للسمعة والوجاهة ليس إلا، فأفاد العطف تفسير سبب العطاء في بعض الأحوال والاحتراس عن مظنة الخير فيهم، فهم إن أعطوا لاكتساب السمعة، لأنهم على التحقيق مانعون للماعون.

المرائي في عطائه
شحيح في ماله

وهناك تناسب بين مراعاة الناس ومنع الماعون، "قال المحققون في الملاءمة بين قوله: ﴿يُرَآؤْنَ﴾ وبين قوله: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ كأنه تعالى يقول: الصلاة لي والماعون للخلق، فما يجب جعله لي يعرضونه على الخلق، وما هو حق الخلق يسترونه عنهم؛ فكانه لا يعامل الخلق والرب إلا على العكس" (1).

دلالة التعبير بصيغة المضارع:

عبر النظم الكريم بفعل (المنع) مضارعاً في قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾؛ للدلالة على إثبات المنع وعدم الإنفاق لهم على سبيل التجدد الاستمراري، وإنما عبر عنه بالفعل دون الاسم؛ لأن الركااة والإنفاق يحدثان على سبيل التقطع والتجدد، بخلاف السهو والإعراض عن الصلاة؛ فإنه أمر ثابت فيهم، ولذا عبر عنه

تجدد حبس
الماعون من
البخل للأفون

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 305 / 32.

بالاسم في قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، ولیدل بمادته على الحبس والتقييد للماعون، فلا يُقدّمونه للضيّان بل يحجبونه ولا يُحرّكونه.

نكتة حذف المفعول الأول لفعل (يَمْنَعُونَ):

حذف النظم الكريم المفعول الأول في قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ﴾ للدلالة على العموم مع الاختصار؛ فهم يَمْنَعُونَ الماعون عن كل الناس بلا تمييز بين قريب أو بعيد، وما ذلك إلا دليل الإقتار والحرص وشدة البخل⁽¹⁾، قال السمين: "ولم يذكر المفعول الأول للمنع؛ إما للعلم به، أي: يَمْنَعُونَ الناس أو الطالبين، وإما لأن الغرض ذكر ما يَمْنَعُونَهُ لا مَنْ يَمْنَعُونَ؛ تنبيهاً على خساستهم وضنهم بالأشياء التافهة المُستَقْبَحِ مَنَعُهَا عند كل أحد"⁽²⁾.

بلاغة الاستعارة في لفظ ﴿الْمَاعُونَ﴾:

آثر النظم الكريم استعمال مفردة (المنع)؛ في قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾؛ للدلالة على إيقاف أمرٍ يجب أن يمضي، ففيه تصوير للماعون وتشخيص له بأنه ماضٍ في سبيل الخير، فيأتي أولئك فيمنعونهم عن المضي ويوقفونه عن العمل، فلفظ ﴿الْمَاعُونَ﴾ شُبّه بشخص يمضي فيمنع، على سبيل الاستعارة المكنية.

معنى تعريف لفظ ﴿الْمَاعُونَ﴾:

عرّف النظم الكريم لفظ ﴿الْمَاعُونَ﴾ بـ (أل) في قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾؛ للدلالة به إما على الاستغراق إن كان الماعون بالمعنى الحقيقي وهو كل ما يُنتَفَعُ به، أو على العهد إن كان المراد بالماعون المال أو الزكاة، "ففيه زَجْرٌ لكافة الناس عن البخل بهذه الأمور الحَقيرة؛ فَمَنْ بَخِلَ بهذا الحقير يَبْخُلُ بالأمور

العموم
والاختصار،
يَدُلّانِ على
الحرص والإقتار

إيقاف الماعون،
لِحُبِّ المالِ
للمُنَّون

الاستغراق
والعهد يَدُلّانِ
على كمال النكد
وتمام البخل

(1) الهرري، حقائق الروح والزّحان: 373 / 32.

(2) السمين، الدّر للصون: 124 / 11.

العظام بالأولوية، ولذا خصَّ الذَّكَرَ بـ(الماعون)؛ وإلاَّ فالبحلُ مذمومٌ مُطْلَقاً⁽¹⁾.

بلادة فنَّ الجنس:

عَبَّرَ النَّظْمُ الكريمُ في ختامِ السَّورةِ بالجناسِ النَّاقِصِ في قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾؛ لتحقيقِ الانسجامِ الصَّوتِيِّ بين (الْمَنَعَ وَالْمَعْنُ)، وليكونَ هنالك تناسُّبٌ معنويٌّ أيضاً بينَ الْمَنَعَ الدَّالِّ على التَّقْتِيرِ الشَّدِيدِ وَالْمَاعُونَ الدَّالِّ على الشَّيْءِ القليلِ الْحَقِيرِ؛ إذِ الْمَعْنُ هو الشَّيْءُ القليلُ.

الجناسُ اللفظيُّ
يفيدُ التَّنَاسُبَ
المعنويَّ

❖ الفُروقُ الْمُجْمَعِيَّةُ:

الدَّعُّ والدَّفْعُ:

(الدَّعُّ) هو الدَّفْعُ بشدَّةٍ وَعُنْفٍ، بخلافِ (الدَّفْعِ) الذي قد يكونُ عنيفاً وقد يكونُ رَفِيقاً، وبهذا تكونُ العلاقةُ بينَ الدَّعِّ والدَّفْعِ العمومُ والخصوصُ المُطلق، ولذا استعملَ النَّظْمُ القرآنيُّ (الدَّعَّ) في قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾؛ إذِ الْمُكذِّبُ بالدِّينِ يدفعُ الْيَتِيمَ بعنفٍ لا بلينٍ، مع أنَّ اللّازمَ أَنْ يُعاملَ باللينِ والرَّحمةِ⁽²⁾.

كُلُّ دَعٍّ دَفْعٌ دون
العكسِ

النِّفاقُ والزَّيَّاءُ:

(الْمُنَافِقُ) هُوَ الْمُظْهَرُ لِلْإِيمَانِ الْمُبْطِنُ لِلْكَفْرِ، وَالْمُرَائِي الْمُظْهَرُ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ مِنْ زِيَادَةِ خُشُوعٍ؛ لِيَعْتَقِدَ فِيهِ مَنْ يَرَاهُ أَنَّهُ مُتَدَيِّنٌ، أَوْ يَقُولُ: الْمُنَافِقُ لَا يُصَلِّي سِرّاً، وَالْمُرَائِي تَكُونُ صَلَاتُهُ عِنْدَ النَّاسِ أَحْسَنَ⁽³⁾.

النِّفاقُ مختصٌّ
بِالإِيمَانِ،
وَالزَّيَّاءُ مختصٌّ
بِالأَعْمَالِ

الحِضُّ والحِثُّ:

(الحِثُّ) قَيْدُ السَّوْقِ وَالسَّيْرِ مأخوذٌ فِيهِ دُونَ (الحِضِّ)، قَالَ

الحِضُّ أَعْمُ
مُطْلَقاً مِنَ الْحِثِّ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 20 / 455.

(2) للصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن: 3 / 206.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 32 / 304.

الخليل: الفرقُ بينَ الحَضِّ والحَثِّ، أَنَّ الحَثَّ يكونُ في السَّيرِ والسَّوْقِ وكلِّ شيءٍ، والحَضُّ لا يكونُ في سَيْرٍ ولا سَوْقٍ⁽¹⁾.

السَّهْوُ والنَّسيانُ والغفلة:

النَّسيانُ إنَّما يكونُ عَمَّا كَانَ، والسَّهْوُ يكونُ عَمَّا لم يكن، تقولُ: نسيْتُ ما عَرَفْتُهُ، وفرَّقْ آخَرُ: أَنَّ الإنسانَ إنَّما يَنْسَى ما كانَ ذاكِرًا له، والسَّهْوُ يكونُ عن ذكرٍ وعن غيرِ ذكرٍ، لأنَّه خفاءٌ المعنى بما يَمْتَنِعُ به إدراكُهُ، والفرقُ بينَ السَّهْوِ والغفلة: أَنَّ الغفلةَ تكونُ عَمَّا يكونُ، والسَّهْوُ يكونُ عَمَّا لا يكونُ، تقولُ: غفلتُ عن هذا الشَّيءِ حتَّى كانَ، والغفلةَ تكونُ عن فعلٍ الغَيْرِ، تقولُ: كنتُ غافلاً عَمَّا كانَ مِن فلانٍ، ولا يجوزُ أَنْ يَسْهَى عن فعلٍ الغَيْرِ؛ فالسَّهْوُ لازِمٌ أَنْ يَتعلَّقَ بعملٍ من نفسِهِ، وإذا تعلقَ بعملٍ من الغَيْرِ فهو غفلةٌ⁽²⁾، ولذا عبَّرَ النُّظْمُ بلفظِ السَّهْوِ في قولِهِ تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾؛ لأنَّ السَّهْوَ مُرْتَبِطٌ بِصَلَاتِهِمْ وهي فعلُهُمْ، وإنَّ كانَ اللفظُ مُستعاراً للدَّلالةِ على التَّركِ والإعراضِ عَنِ الصَّلَاةِ.

النَّسيانُ
أخصُّ مُطلقاً
مِنَ السَّهْوِ،
والسَّهْوُ مختصٌّ
بفعلِ النَّفسِ،
والغفلةُ بفعلِ
الغَيْرِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حَضَّ)، والطَّبِيُّ، فتوح الغيب: 16 / 592.

(2) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 97.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والستون،
من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي أحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 68 ، 828 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 8-42-9948-978-655
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 68 : المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 8-42-9948-978-655

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7916426 بتاريخ 2026/01/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"